

أهمية التعريب والمصاعب التي تواجهه ومقترحات للتغلب عليها

إعداد

محمد محمد عتريس إبراهيم^(٢)

أهمية التعريب:

كان بقاء الأمم وتقدمها مرتبطاً، دوماً، بتشبثها بأصولها المتمثلة في لغتها ودينها، وكان تهاونها في الحرص على هذه الأصول مدعاة لتقهقرها ورجوعها إلى المؤخرة في كل ميادين الحياة.

ما الأمة؟ هي جماعة الناس الذين يكونون وحدة سياسية، وتجمع بينهم وحدة الوطن واللغة والتراث والمشاعر^(١).

وما اللغة؟ هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فهي مجموع الكلمات والأنظمة المتبعة في استخدام هذه الكلمات والتي تشيع بين أناس ينتمون إلى مجتمع واحد أو أمة واحدة أو إلى منطقة جغرافية واحدة، أو إلى أعراف ثقافية واحدة^(٢).

وربما كانت اللغة أهم الوشائج العملية لجمع أبناء الأمة، إذ هي وسيلة التخاطب، ومن ثم تقوم بينهم الصلات والروابط، وهي وعاء تراثهم، والبعد عن هذا الوعاء يؤدي إلى إضعاف كيان الأمة وتدهور أحوالها.

^(٢) وكيل الوزارة - مجلس الشعب

^(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة

^(٢) Webster's Encyclopedic unabridged dictionary.

وتعرف موسوعة فنك أند وجنالز (Funk and Wagnalls) الأمريكية

أنشأها بأنها:

"Communication between human beings characterized by the use of arbitrary, primarily audible symbols with conventional meanings".

أي هي: الاتصال بين كائنات بشرية يتسم باستخدام رموز اعتباطية هي -ساعية في المقام الأول ولها معان متعارف عليها.

ويلقننا التاريخ الدرس التالي: تفرض الأمة أو الإمبراطورية الغازية نفسها بالقوة على شعوب البلدان التي تغزوها، فاللغة إذن رمز الاستقلال ، علامة عليه^(٢).

ويتحدث نفس المرجع عن محاولات إيجاد لغة عالمية والصعوبات التي واجهتها فيقول: وأي لغة قومية حية اقترحت لتكون لغة عالمية ثبت استحالة تطبيقها أو استخدامها عمليا بسبب صعوبة تعلمها من ناحية، وبسبب تحيز أبناء كل أمة للغتهم القومية.

وللأسف في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفارقة بلغاتها، وأصحاب العصبيات القومية يتخنون فخراً بالسنتهم وطبائعهم وعقولهم على عادة جميع الأقوام، فإسرائيل، جارنا اللدود المفروض، تبعث من غابر الزمان لغة اندثرت هي العبرية، وتصر على التعامل بها لغة رسمية، وتفرض على كل اليهود الذين يهاجرون إليها تعلمها والتحدث بها، وتفرض على المجتمع الدولي كلمات عبرية مثل الشيكول، عملتها، ومثل أورشليم، أي القدس، التي تسر على أن تكون عاصمة لها.

^{٢)} Funk and wagnalls Encyclopedia.

وفي الولايات المتحدة نرى محاولات دعوية من جانب الأمريكيين لتكون لهم لغتهم الخاصة بهم، ونتيجة لجهودهم هذه زحفت إلى الإنجليزية كلمات وعبارات أمريكية الصنع أي Americanisms وهي الكلمات أو العبارات أو أي سمات لغوية أخرى تختص بها اللغة الإنجليزية التي يتحدث بها الأمريكيون فاستخدام الأمريكيون مثلاً كلمة elevator بمعنى مصعد لتحل محل كلمة lift الإنجليزية، واستخدموا كلمة fire بمعنى يقبل بدلاً من كلمة dismiss الإنجليزية، ووضع قاموس وبستر webster الشهير في إحدى طبقاته نجمة على كل كلمة أمريكية، ونبه قاموس لونجمان longman إلى هذه الكلمات الأمريكية بوضع المختصر Am E (American English) أي الإنجليزية الأمريكية قبلها. وهكذا ظهرت لغة اسمها الإنجليزية الأمريكية.

وفي فرنسا قامت مؤخراً حملة حكومية وقومية عامة تحظر استخدام الكلمات غير الفرنسية، والألمان لا يعترفون بغير لغتهم الألمانية لغة للتخاطب على المستويين الشعبي والرسمي.

ونحن أبناء العربية، واجبنا أن نعتز بلغتنا وأن نغار عليها، وإنه لشعور غريزي أن يعتز الإنسان بلغته، فلغة الأمة عنوان ثقافتها وحضارتها، ولذلك تعنى الأمم كافة بلغاتها وتعمل على ترفيتها ورفع شأنها، وحق للعربية أن يعرض عليها ابناؤها بالنواجذ، لأنها لغة عبقرية تجمع لها من أسباب التفرد والتيه على لداتها ما يأتي:

(١) تمام العربية واكتمالها، فهي لغة عريقة بلغت في تطورها شأواً بعيداً من العظمة والرقى لا يمكن أن يتأتى لأية لغة قبل مضي أجيال طويلة على نشأتها، وآية هذا التمام والكمال التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب، أو بين صيغ المشتقات، أو بين أوزان الجمع والمثنى، وجموع الكثرة والقلة، وهناك حروف الجر والعطف وسائر الحروف التي تدخل في تركيب الجملة

بمعانيها المختلفة وتتفصل بلفظها من ألفاظ الأسماء والأفعال التي تولدت منها، وهي في بعض اللغات لم تتفصل عنها حتى اليوم^(٤).

لقد توفرت، بحكم تخصصي، على دراسة قواعد النحو الإنجليزي (English grammar) سنوات طويلاً، كما ألجأتني عملي في مجال الترجمة إلى ضرورة دراسة النحو العربي، وما برحت مفتوناً باتساع مداه وشموله، وعمق فحواه ودقته، إذ قدم علماءه من القواعد آيات ساطعات في التوافق مع العقل والمنطق ومع مقتضيات التعبير والتوضيح، وأحسب أن النحو الإنجليزي، مع حبي له وإعجابي به - إن هو إلا شيء يسير إذا ما قورن بنحو العربية، ذلك المحيط التليد، ولأضرب لكم مثلاً إعراب جملة كما وردت في «شرح حسن الكفراوي على متن الأجرومية» لنرى القمة الساحقة التي بلغها نحونا العربي من إحاطة وشمول، قال جدنا الكفراوي (توفي ١٢٠٢هـ) يعرب جملة «جاء زيد والفتى والقاضي وغلami» جاء فعل ماضى، وزيد فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، والفتى معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، والقاضي معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، وغلami معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وغلाम مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون في محل جر.

أرايتم كيف استقصى الإعراب كل كلمة وكل حرف وكل حركة؟

(٤) راجع اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، ص ٥، ٦.

ولأضرب لكم مثلاً آخر من التنزيل العزيز، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(٥) والله مَسْمُوعُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^(٦)، قرأ ابن كثير وحمزه والكسائي وحفص عن عاصم، ﴿مَسْمُوعُهُ﴾ بإضافة نوره إلى «متم» وفي هذه القراءة يمنع تنوين «متم» وجوباً للإضافة^(٧). (ونوره) مضاف إليه مجرور. وقرأ الباقون (متم نوره) بتنوين (متم)

ونصب «نوره» على أنه مفعول (متم) ويزخر القرآن العظيم بالكلمات والمواضع التي تتعدد فيها، أو تتعدد لها - القراءات، ولكل قراءة مبرراتها ووجاهتها، وكل منها تزيد المعنى لمعانا وبياناً، وكل منها آية من آيات الإعجاز القرآني والإعجاز اللغوي العربي، ويغزني المقام بسوق مثل ثالث هو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾^(٨) قرأ ابن كثير «يسرى» بإثبات الياء في الوصل وفي الوقف لأنها ليست بمجزومة فثبتت فيها الياء.

وقرأ نافع بإثباتها في الوصل وبحذفها في الوقف، وقال الخليل، تسقط الياء منها اتفاقاً لرعوس الآي، وقال الفراء: قد تحذف العرب الياء وتكتفى بكسر ما قبلها، حتى الحرف لم يفلت من البحث والتمحيص والاستقصاء^(٩).

(٥) المعنى: يريدون أن يطفئوا دين الله أو كتابه أو حجته المنيرة بطعنهم فيه، وإنما مثلهم في هذا كمثل من ينفخ في نور الشمس بفعه ليطفئه - وهذا من باب التهكم بهم والسخرية منهم.

(٦) سورة الصف الآية ٨.

(٧) راجع مواضع حذف التنوين ص ٤٣، الجزء الأول من النحو الوافي بين فتح القدير، الشوكاني، الجزء الخامس، ص ٣١٤.

(٨) سورة الفجر الآية ٤.

(٩) راجع «يسر» ص ٢١١ من «شرح ومعاني جزء عم»، محمد محمد عتريس إبراهيم، =

(٢) ويقودنا هذا إلى سبب ثان من أسباب تفرد العربية وتميزها على لداتها، ذلك أن العربية لغة دين سماوى ذى خطر، وبها كتبت أصول هذا الدين تشريعاً وحكمة وثقافة، وعلى رأس هذه الأصول القرآن العظيم، معتمد المسلم ومرجعه في شئونه الدينية وعقيدته الروحية، ودستوره في حياته العملية، وقد قدس النص القرآنى كما أنزل بالعربية الفصحى، فبقيت ملازمة له، تكاد تقُدس معها نصوصها، ولما كانت العقائد الدينية راسخة في القلوب، فإن العربية باقية بقاء الإسلام، أي القرآن.

ولما كانت العربية قد بلغت، حين نزول القرآن، مدى بعيداً من قوة البيان وفصاحة التعبير، وكان القرآن موضع التحدى للعرب أن يأتوا بسورة من مثله: ﴿قل لن اجتمعتم الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾^(١٠)، لما كان ذلك اعتبر القرآن الكريم اسماً نمط للعربية الفصحى، وأعلى نموذج للبيان المعجز، فظل القبله الخالدة في استلهاهم انصع الأساليب لنظم الكلام. فما دام القرآن محفوظاً، والإسلام قائماً، فلن يكتب لهذه اللغة الفناء - وكيف لا يبقى محفوظاً وقد تكفل الله بحفظه، ﴿إننا نحن نرنا الذكر وإننا له لحافظون﴾.

٩- الحجر، والآيات الأربع الخاصة بتوجيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في شأن الوحى وتلقى هذا القرآن: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه﴾^(١١).

=سلسلة كتاب الجمهورية.

(١٠) سورة الإسراء الآية ٨٨

(١١) سورة القيامة الآيات من ١٦ إلى ١٩.

هذه الآيات تترك في النفس إحياء هو تكفل الله المطلق بشأن هذا القرآن، وحياء وحفظاً وجمعاً وبياناً، وإسناده إليه - سبحانه وتعالى - بكليته، وليس للرسول - صلى الله عليه وسلم - من أمره إلا حمله وتبليغه، وذلك في الحق أعظم الأسباب التي صانت العربية من الزوال في الماضي والحاضر، وسيكون السبب الذي يمدّها بعوامل البقاء في المستقبل، والعقيدة ناموس طبيعي آخر لا تستغنى عنه البشرية بحال - فبقاء العربية، إذن، نظام يجرى وفق سنة طبيعية بشرية صحيحة لا يعترىها التبديل، ولأن لغتنا العربية قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية، فقد تعرضت - وحدها - بين لغات العالم لكل معاول الهدم تنصب عليها ولدسائس الراصدين تحيط بها.

٣- المزايا التي تنفرد بها اللغة العربية مزايا علمية تستند إلى خصائص النطق والتعبير المتفق عليها في العلوم اللسانية، ولا محابة فيها لهذه اللغة أو تلك، أي أن هذه المزايا ليست قائمة على تعصب قومي، على عادة جميع الأقوام في التعصب لأسنتهم وعقولهم.

ومزاياها في التعبير عامة، وفي التعبير الشعري خاصة، تقوم على قواعد العلوم اللسانية. فاللغة المعبرة هي التي تضع معجمها بين يديك، فكأنما قد وضعت أمامك قواعد تاريخها ومعالم بيئتها. ولا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربي من مادة ألفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز، ونحن نعلم أن المجتمع العربي في قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى، وأن الكلمات التي تدل على معنى الجماعة في لسان العرب قلما تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية.

فالأمة هي الجماعة التي تؤم مكاناً واحداً، أو تأتم بقيادة واحدة.

والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا، والقبيلة هى الجماعة التى تسير إلى قبلة مشتركة، والفئة هى الجماعة التى تنفى إلى ظل واحد، والبيئة هى الموطن الذى يبوء إليه أصحابه (أى يرجعون) بعد الرحلة عنه، والقوم فى جملتهم هم الذين يقومون قومة واحدة للقتال خاصة.

وفى دلالة أسماء الأمكنة نجد المنزل حيث ينزل الإنسان. والبيت حيث يبيت بالليل.

وفى الكلمات التى تدل على الرابطة الاجتماعية نجد الصاحب وهو من يمشى معك فى السفر، والقريب الذى يقترب من منزلك. والعدو الخصم الذى يعدو على جوارك.

وفى المعانى المجازية نطلق القصة على الحكاية وهى من قص الأثر. والتتبع من السير وراء الرجل، والتقرى من البحث عنه حيث كان مقره. والجيش من جيشان الحركة فى الأمكنة المتعددة أو فى المكان الواحد، والبلاغة من التبليغ أو البلوغ إلى المكان^(١٢).

٤- وبالنسبة للنطق هناك حقيقة تقول بأن النطق الفصيح هو فضيلة الحيوان الناطق، وإن الفصاحة العربية قد بلغت بأداة النطق الأدمية غاية ما بلغه الإنسان المعبر عن ذات نفسه بالكلمات والحروف، ففصاحة النطق ميزة نادرة تمتاز بها اللغة العربية، وهذه حقيقة يقررها علم وظائف الأعضاء واللفظ الفصيح هو اللفظ الصريح الذى لا لبس فيه ولا اختلاط فى أدواته، وهذا هو اللفظ العربى بدليله العلمى. فلا لبس بين مخارج الحروف فى اللغة العربية ولا إهمال لمخرج منها، ولا حاجة فيها إلى تكرار النطق من مخرج واحد، تتوارد منه الحروف التى لا تتميز بغير التثقيل أو التخفيض.

(١٢) راجع فصل «لغة التعبير» من كتاب «اللغة الشاعرة»، عباس محمود العقاد.

فليس في اللغة العربية حرف يلتبس بين مخرجين، وليس في النطق العربى مخرج ينطبق فيه حرفان. فمثلا ليس في اللغة العربية حرف يستخدم مخرجين كحرف تش في اللغة اليونانية (x) وهو خليط من التاء والشين، وليس فيها حرف يعبر عنه بحرفين كالذال أو التاء اللذين يكتبان عندنا مما يقابل التاء والهاء (th) ويتغير النطق بهما في مختلف الكلمات. ولا تزدهم أصوات الحروف في اللغة العربية على مخرج واحد. كما تزدهم الفاء والفاء الثقيلة (&v) والباء والياء الثقيلة (b, p) في اللغة الإنجليزية والعربية تتسع من أقصى الحلق إلى أدناه لسبعة حروف هي الهمزة والهاء والألف والعين والحاء والغين والخاء، وهي مميزة في النطق بغير التباس ولا ازدواج في الأداء، على حين نجد أن أصوات الحلق أهملت جميعا في كثير من اللغات (١٢).

٥- كانت العربية أسبق اللغات إلى تصنيف المعاجم اللغوية ولنرجع إلى مرسوعة، فنك آند وجنلز (Funk and Wagnalls) الأمريكية، المجلد الثامن، مادة Dictionary (معجم) نقول الموسوعة: ظهرت المعاجم أول ما ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت في معظمها تجمعا للكلمات والمعاني النادرة، أما ما تلا ذلك من قواميس فجاء متأخراً إذ كتبت بعد القرن الخامس الميلادي، وكانت تكتب نظاما. ويمكن تقسيمها إلى صنفين.

صنف للألفاظ المترادفة وآخر للألفاظ المتجانسة، وظهرت في اللغة السنسكريتية المعاجم المتخصصة في النبات والطب والفلك وغيرها.

أما أول محاولة لجمع كل مفردات اللغة في مؤلف واحد، فإن الاحتمال الأرجح أنها كانت على يد الخليل بن أحمد العماني (توفي عام ٧٩١م) الذي لم يتبع في ترتيب الكلمات النظام الأبجدي وإنما رتبها وفق مبادئ علم النطق

وعلم فقه اللغة، وجاء تأليف المعاجم العبرية في القرن العاشر الميلادى، وكان منشؤه والدافع إليه دراسة اللغة العربية.

وخطت صناعة المعاجم في بعض اللغات خطوات عملاقة نحو الكثرة والتنوع في الأحجام والتخصص في فروع المعرفة.

ونخص بالذكر المعاجم الإنجليزية، أما أبناء العربية فارتدوا على أعقابهم، وتقاعدوا عن النهوض بالمعجم العربى.

٦- اللغة العربية أداة عالمية من أدوات النطق الإنسانى بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، ولذا باتت حمايتها واجبا قوميا وإنسانيا، وكم تكون خسارة العالم فادحة لو أصاب العربية مكروه!.

المصاعب التي تواجه التعريب

أول هذه المصاعب وأفدحها تخلفنا، نحن أبناء العربية في مجالات العلم والتكنولوجيا والاكتشافات والمعرفة بصفة عامة، ذلك أن الحاجة إلى سك كلمات جديدة مرتبطة بعمليات البحث والاكتشاف والاختراع.

فمثلاً كلمة morphine (مورفين) التي دخلت الإنجليزية عام ١٨٢٨م، كلمة ألمانية الأصل morphin. والمورفين مادة حريفة شبه قلوية بلورية، وهي بيضاء أو عديمة اللون، وتستخرج من مادة الأفيون ونستخدم في الطب لتخفيف الآلام. لكن كيف سميت بها الاسم؟ الذي أطلق عليها هذا الاسم الصيدلي الألماني شرتورنر (serturner)^(١٤) الذي كان له الفضل في فصل هذه المادة من الأفيون بعد ما قام به من أبحاث، والكلمة مشتقة من كلمة مورفيوس (Morpheus) اللاتينية ومورفيوس هو إله الأحلام في الأساطير الإغريقية، ويبدو أن شرتورنر ربط بين غياب الوعي المؤقت أثناء النوم وأحلامه وبين فقدان الإحساس بالألم عند تناول المادة التي فصلها عن الأفيون فنسبها إلى إله الأحلام مورفيوس.

ولناخذ مثلاً آخر. كلمة Pasteurisation أي البسترة بالعربية وتعني التعقيم الجزئي للمادة (وخصوصاً اللبن) عند درجة حرارة تكفي فقط لتدمير البكتريا الضارة ودون إحداث تغيير كيميائي جوهري للمادة يقلل من فائدتها. والذي اخترع طريقة التعقيم هذه هو العالم الفرنسي لوى باستير فنسبت إليه وسميت باسمه. ولو افترضنا مثلاً أن الذي اخترع هذه الطريقة عربى يسمى راشد، إذن كانت ستنسب إليه، وبدلاً من أن نقول بسترة اللبن كنا سنقول

(١٤) ولد في عام ١٧٨٣م وتوفي في ١٨٤١م، انظر:

ترشيد اللين - وعند ذاك كان سيقع على غير المتحدثين بالعربية عبء إيجاد كلمة في لغاتهم تعبر عن هذا المعنى.

فنحن إذن نواجه مشكلة لغوية تعبيرية ناتجة عن مشكلة أخرى هي تخلفنا في مجال المعرفة، والأمثلة في هذا الصدد تجل عن الحصر.

ثانياً: الكثير من المقابلات العربية التى أوجدناها للكلمات الأجنبية تبدو غير سائغة وهذا واحد من أسباب عدم دوراتها على الألسنة، خذ مثلاً كلمة (تَجْوِيَّة) التى وضعها مجمع اللغة العربية مقابلاً لكلمة (Weathering) الإنجليزية وتعنى التغيرات التى تطرأ على الصخور نتيجة لتأثير العوامل الجوية مثل المطر والصقيع والبرد والرياح وتعاقب الاختلاف في درجة الحرارة^(١٠) وربما استتقل البعض كلمة «تجوية» خصوصاً في أيامنا هذه التى تتعرض فيها لغتنا الحبيبة لكيد السفهاء الجهلاء وسخرية الرذلاء الأخساء، فهل يمكن استبدال كلمة «تجوية» بـ «التغيرات الناتجة عن العوامل الجوية» وهنا يثور سؤال جدير بالاهتمام: هل الأفضل أن يكون المقابل العربى للكلمة الأجنبية كلمة واحدة مهما بدت غريبة أو غامضة، أو أنه يمكن أن يكون المقابل أكثر من كلمة ابتغاء السلاسة والوضوح؟

وعلى نفس الصفحة مع كلمة «تجوية» عرض المجمع المقابل العربى لكلمة (Water control) على أنه ضبط الماء، وربما كانت كلمة «التحكم في الماء» أقرب إلى الأذهان.

وفي صفحة ٢٣٥ من ذات المصدر أورد المجمع كلمة «القابلية

(١٠) انظر محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الرابعة والأربعين ص ٣٥٦

للتواؤم» مقابلاً للكلمة الإنجليزية (adaptability) وربما كانت كلمة «القدرة على التكيف» أقرب إلى التداول.

وفي صفحة ٢٣٧ أورد المجمع كلمة «تعليم الراشدين» مقابلاً لكلمة (adult education) وأعتقد أن القصود هو «تعليم الكبار» وهي الشائعة. وربما بدت الغرابة أكبر عند نحت بعض الكلمات أي تركيب الكلمة من كلمتين أو كلمات، مثل كلمة «يترطب» مقابلاً لكلمة (denaturalise) أي ينزع عن الشيء خصائصه الطبيعية، فالجزء الأول من «يترطب» مأخوذ من ينزع، والجزء الثاني من طبيعية. اكن يمكن أن يكون مقابلها «يمسح».

ثالثاً: الكلمات المشاكسة التي يصعب تطويرها وإيجاد مقابل عربي لها، وما أكثر هذه المشاكسة، وطالما عركتي وعركتها، وما برحت تجهد الذهن وتقض المضجع، ويلقى المترجمون من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية العنت الشديد حيال هذه الكلمات التي يضرب أصحاب المعاجم الإنجليزية/العربية صفحاً عن ذكرها وتيفادون إثباتها في معاجمهم، أو يوردون، في أحسن الأحوال، عبارات مطولة لشرحها.

ومن الأمثلة على ذلك كلمة transparency التي جاء مقابلها العربي في معاجمنا الإنجليزية/العربية شفافية، وكانت الكلمة قد وردت إسمًا لمنظمة دولية أنشئت مؤخراً لمقاومة الرشاوى والعمولات الحرام على المستوى الدولي وهي منظمة Transparency International^(١٦).

(١٦) تم التفكير في إنشائها في برلين عام ١٩٩٣م، تضم خبراء بارزين في مجال العمل بروكالات التنمية والمعونة الدولية، وتهدف إلى القضاء على الفساد في أعمال المقاولات الدولية، صحيفة فينانشال تايمز ٥ مايو ١٩٩٣م.

وقد رجعت إلى قاموس: (Webster's Ninth New collegiate dictionary) ووجدت معنى ثانياً لكلمة transparent لم يرد في معاجمنا الإنجليزية/ العربية هو free from pretense or deceit أي المنزه عن الغش والخداع، أي المستقيم هذه هي الصفة والأسم منها الاستقامة. وعلى ذلك يكون المقابل العربي لكلمة transparency هو: ١- الشفافية، ٢- الاستقامة، ويكون اسم المنظمة: منظمة الاستقامة الدولية.

ولنأخذ مثلاً آخر هو كلمة backbench التي لم ترد في معاجمنا الإنجليزية والعربية. لكنها وردت في معجم Longman وشرحها:

members of parliament who do not hold official positions in the Government or Opposition and who sit on the back seats.

أي: الأعضاء العاديون أو أصحاب المقاعد الخلفية في البرلمان.

ولنأخذ مثلاً ثالثاً يبين طول العبارة التي أوردها معجم «المورد» شرحاً لكلمة activism مذهب الفعالية، مذهب يؤكد على ضرورة اتخاذ الإجراءات الفعالة أو العنيفة، (كاستعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية) وأرى أنه من الممكن أن يكن مقابلها العربي: عنف سياسي.

رابعاً: تعودنا على استخدام كلمات أجنبية بدلاً من العربية رغم أن الأخيرة أسهل وأرق، ويسهل التعرف على مدلولاتها وفهمها. ومن ذلك: التلفون - الهاتف، التعرف، البرق، الجول^(١٧)، الهدف، كونسلتو، هيئة طبية، السكرتير، الأمين، اليوبيل الفضي، العيد الفضي، الماتش^(١٨)، المباراة،

(١٧) تنطقها الجماهير جون، وهذه ليست إنجليزية ولا عربية وإنما مسخ.

(١٨) تنطقها الجماهير مطش، وهذه ليس إنجليزية ولا عربية وإنما مسخ شأنه، وهذه سوءة أخرى من سوءات استخدام كلمات أجنبية بدلاً من العربية.

الكوقرة، الغطاء، ترابيزة السفرة، المائدة، الشماعة، المشجب، البراقان، السائر، سكندهند، مستعمل أو نصف عمر، سندوتش: شطيرة دركسيون، عجلة القيادة، بترون، نموذج، وغيرها كثير مما أورده الأستاذ محمود تيمور في مؤلفه «معجم الحضارة» الذي صدره، بمقدمات مفيدة في مجال التعريف وطرائفه هي: هذا المعجم، كلمات طيبة، ألفاظ الحضارة، وصراع الفصحى والعامية، ويمكن أن تكون محل مناقشة ومدارسة.

وربما لاحظ القارئ صعوبة قراءة هذه الكلمات الأجنبية حال كتابتها بالعربية، فرغم أن نطقها مألوف إلا أن رسمها بالعربية يبدو غريباً ويتعسر نطقه - وهذه سوءة أخرى من سوءات استخدام كلمات أجنبية بدلاً من العربية.

ولا يستغرب مستغرب إمكانية العدول عن اللفظ الأجنبي إلى بديله العربي الواضح. فمثلاً كانت كلمة «البوستة» هي المستخدمة على المستويين الحكومي والشعبي منذ حوالي أربعين عاماً عندما استبدلتها الحكومة - إبان صحوة وغيرة قومية شملتنا لغتنا الحبيبة - بكلمة (البريد)، فشاعت هذه الأخيرة وذاعت. وكان من ثمار تلك الصحوة ما بذل من محاولات آنذاك لاستبدال الالفاظ الأجنبية للمحلات التجارية والشركات والمنتجات بأخرى عربية.

خامساً: القصور الشديد في معجمنا العربي، فمعجمنا العربية اللغوية قليلة قليلة، كما أن معجمنا العربية المتخصصة في فروع العلم والمعرفة لا وجود لها تقريباً. بينما المعاجم الأجنبية، والإنجليزية منها خاصة كثيرة كثيرة وتجل عن الحصر، ومستوياتها متنوعة ومتدرجة تبدأ بمستوى تلاميذ الابتدائي وتنتهي بالمستوى اللازم للعلماء والباحثين وبين هذا وذاك عشرات

الأحجام والمستويات، وتجديدها دائم إذ تصدر كل عام طبعة جديدة تضم ما استجد من كلمات ومصطلحات وتراكيب لتواكب تطورات الحياة والعلوم وأحداث السياسة وتقلبات الأحوال، فتسعف الباحث بضالته والطالب ببغيته.

كنت أعمل في دولة عربية منذ سنوات ووجدت بين يدي التلاميذ معاجم إنجليزية متدرجة: لكل مرحلة تعليمية معجمها، وهو أمر محمود، لكن العربية لا معاجم لها، يا للخيبة وبالأس! وهنا يبرز سؤالاً وماذا عندنا من المعاجم العربية؟ من المعاجم القديمة ما لا يزيد على عدد أصابع اليد لعل أبرزها "لسان العرب" الذي جمع ابن منظور المصري (توفي ٧١١هـ - ١٣١١م) ما ضمته كتب السابقين - لكنه لم يعد بقي بحاجة بعد سبعة قرون.

وظهرت معاجم حديثة لكنها، فضلاً عن ضالة عددها، لا تشفى غليلاً، ومنها ما يعثوره نقص مشين كذلك الذي أغفل - في طيش وجهالة - الشواهد القرآنية المعجزة في بيانها. وربما كان (المعجم الوسيط) و(المعجم الوجيز) الصادران عن مجمع اللغة العربية أفضل ما صدر من معاجم حديثة، ومنهما تدهل المعاجم الأخرى. صدر من (الوجيز) طبعة واحدة ومن حسن الطالع أنه يوزع على تلاميذ المرحلة الثانوية، وهو معجم جيد يناسبهم - لكن لا بد من تحديثه مرة كل خمس سنوات على الأكثر.

أما (المعجم الوسيط) فصدرت طبعته الأولى في عام ١٩٦٠م والثانية في ١٩٧٢م بفارق اثني عشر عاماً، وهي مدة طويلة جداً، والأطوال منها السنوات التي مرت على الطبعة الثانية وتقارب ربع قرن - مما يجعله متخلفاً عن مواكبة ما استجد في العصر من كلمات ومصطلحات في شتى المجالات. كما أن بعض شروحه موجزة إيجازاً مخلاً فمثلاً جاء فيه أن يوم التروية هو الثامن ذي الحجة، ولم يوضح أنه يوم قبل يوم عرفة، وسمى كذلك لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى، ولا ماء بها، و(الوسيط) لا

يسعف من يلجأ إليه طالباً شرحاً أو باحثاً عن معنى، فمثلاً لم يتناول كلمة «عهد الرواية» لا في مادة عهد ولا في مادة روى. كما أغفل تعريفات نحوية هامة مثل الفعل الأجوف (ما كانت عينه حرف علة) ومثل الفعل الناقص (المعتل الآخر) ومثل الاسم المقصور (المعرب الذى في آخره ألف لازمة) وغير ذلك كثير. وأبناء العربية يطالبون مجامعهم اللغوية - ولهم كل الحق في مطالباتهم - بإخراج معاجم تسعف الباحثين والدارسين بكل ما يحتاجونه في لغتهم من لفظ أو ضبط أو تعبير و معنى - لم لا يخرج المجمع معجماً حجمه يماثل ضعف حجم (الوسيط) ومعجماً ثانياً حجمه ثلاثة أو أربعة أمثالا الوسيط، مع تحديثه مرة كل خمس سنوات على الأكثر؟ والحديث عن "المعجم الكبير" التاريخي غير وارد تماماً في هذا السياق، فسوف يستغرق بناؤه نصف بلينيوم.

وفي اللغة الإنجليزية نجد المعاجم المتخصصة في كل فرع: في الطب، الهندسة، الذرة، الموسيقى، الأدب.. الخ، وهذه النوعية من المعاجم العربية العربية المتخصصة غير معروفة عندنا تقريباً، ونفس القصور قائم بالنسبة لدوائر المعارف والموسوعات^(١٩) مما الجأنا إلى المعاجم والموسوعات الأجنبية نأخذ عنها - وهو أمر ترد عليه محاذير وتحف به مخاطر لعل أدهاها الإحساس بالدونية والانبهار والافتتان بالأجنى. ولا بد من الإشارة هنا إلى إصرار الغرب بزعامة أمريكا على ضرورة إدخال المواد الثقافية ضمن اتفاقية الجات الجديدة وتجريم نقلها أو الأخذ عنها إلا باتفاق مع مؤلفيها.

(١٩) أخرجنا منذ ثلث قرن «الموسوعة العربية الميسرة» تلك اليتيمة المبتسرة التي لم تقو على

سأبدأ: تفشى العامية في أحاديث المسؤولين وفي مجلس الشعب وفي وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون. بل والإصرار على إستبعاد الفصحى، وهو أمر محزن حقا خصوصا إذا عقدنا المقارنة بين أسلوب الكتابة في الصحافة الإنجليزية مثلاً وأسلوب الكتابة في صحافتنا المصرية، فالبون شاسع والهوة سحيقة ولا تلق بالآ إلى من ينادى بتدنى لغة الصحافة لتلتقى مع العامية إن المرء ليتوقف أمام سطور وصفحات في صحيفة Financial Times أو في صحيفة International Herald Tribune مثلاً وكل منهما يومية إنجليزية، يتوقف المرء إعجاباً وانبهاراً بدقة التعبير وسحر البيان والقدرة الباهرة على الصياغة بأسلوب أدبى رفيع، وتطول الجملة وتطول والكاتب الصحفى ممسك بالزمام مسيطر على المعنى ينساب في وضوح. مستوحياً آثار الأدباء البليغة مستدعياً معلومات موسوعية عميقة تؤكد وتبرز ما يرد من معنى، وهل أتاكم نبأ معجم مجلة «الإيكونوميست» الأسبوعية البريطانية الشهيرة التى تحرر موادها بأسلوب عال لا يقدر عليه إلا ذوو المستويات العالية والثقافات الرفيعة. نعم! مجلة لها مفرداتها ومعجمها. أما العربية فرزنت بأبناء جهلاء. والصديق الجاهل أشد ضرراً - راحوا يروجون لمغالطة تزعم أن للصحافة لغة وسطا بين العامية والفصحى. وهى فرية يذيعها من قصرت همته عن إجادة العربية أو من باع نفسه وأصوله لأعداء لغتنا الشاعرة الجميلة، ولست بحاجة إلى التذكير بأن إنتشار العامية يعنى تجزئة أوصال الوطن العربى - فالعربية الفصحى من أهم دعائم توحيد الأقطار العربية. فالعامية كما هو معروف مرتبطة بالمحلية لا يفهمها إلا أهل حِلَّتْها^(٢٠)، فالمصرى ذو اللهجة الصعيدية يتعذر عليه التخاطب والتفاهم مع

(٢٠) الحِلَّة : جماعة البيوت.

أبناء اللهجة السعودية أو المغربية مثلاً. ثم إن العامية لا قواميس لها ولا تخضع لقواعد اللغة من نحو وصرف وما إلى ذلك - ومن ثم فهي لا تنهض بالتعبير عن المعاني بالدقة والتحديد الواجبين.

ولابد من الإشارة إلى صنائع الاستعمار الفكري والثقافي الذين تولوا كبر الدعوة إلى العامية، واضعين السم في العسل لينخدع بهم السذج والبسطاء، نافثين في كتاباتهم المخادعة حقدهم الدفين على العربية، لغة القرآن العظيم ووشيجة الوحدة بين أبناء الأمة العربية، ولله در أبي فهر، الأستاذ محمود محمد شاكر، الذي فند في كتابه «أباطيل وأسما» مزاعم واحد من المرتددين أعداء العربية، وقال في وصفه. وإذا أسود سالخ «وهو أقتل ما يكون من الحيات» يمشى بين الألفاظ فيسمع لجلده حفيف، ولأنيابه جرس، فمازلت أنحدر مع الأسطر والصوت يعلو، يخالطه فحيح، ثم ضباح، ثم صفير، ثم نباح «وكلها من أصوات الأفاعي».

سابعاً: الجهالة والغفلة، فبعضنا يتوهم أن الدطانة بكلمات أجنبية تتخلل حديثه، أو أن عدم المعرفة بلغتنا الأم، إنما يعطيه تميزاً، وربما كان هذا من عقابيل الاستعمار الفكري والمعاناة من عقدة الأجنبي، والحقيقة هي أن قلة قليلة منا نحن أبناء العربية هم الذين يجيدون لغة أجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية، والشواهد على ذلك كثيرة تشاهدها في خريجي الجامعة وفي رجال الصحافة والسياسة والإعلام، ومثل الذي يخلط في حديثه كلمات عربية وأخرى أجنبية كمثل الغراب الذي أراد أن يقلد الحجلة في مشيتها في حكايات كليلة ودمنة، فلا أجاد مشى الحجلة ولا احتفظ بمشيته، وإنما انتهى به الأمر إلى طريقة في المشى غريبة تثير الضحك والاشفاق. والذين يقحمون الكلمات الأجنبية في أحاديثهم عاجزون في الأغلب عن التعبير عن أنفسهم بلغتهم الأم،

وهو أمر مخجل ومخزن.

ثامناً: الهجمة الشرسة المتمثلة في تفوق الأجنبي: تفوقه الاقتصادى والعسكرى والتكنولوجى، ونفوذه السياسى وتقاليعه وذرائله وشذوذه وإنحرافاته التى تمادى فيها إلى درك سفيل ، كل هذا جعله في نظر الغافلين المثل والقدوة، وانعكس ذلك بالتالى على لغته التى تلقى الاحترام والإكبار، أما لغتنا الأم فتلقى من أبنائها الهوان.

مقترحات للتغلب على المصاعب التي تواجه التعريب

أولاً: استنفار السلطات لحماية لغتنا الأم، وفي الحديث «من يزرع السلطان أكثر ممن يزرع القرآن» ومعناه: أن من يكف عن إرتكاب العظائم مخافة السلطان أكثر ممن تكفه مخافة القرآن والله تعالى، ويقول المثل الإنجليزي:

Being right without might will get you nowhere.

ومعناه: لن يتحقق لك شيء إذا كنت على صواب أو على حق طالما لم تكن لديك القوة اللازمة للتنفيذ.

وفي هذا الصدد أرى أن تلحق مجامع اللغة العربية برئاسة الدولة، فمن شأن ذلك أن يضيف عليها وعلى قراراتها الهيبة والإلزام، وقيام رئيس الدولة بافتتاح دور الانعقاد السنوي للمجمع سيكون وسيلة ناجحة لذيوع شأن المجمع والإعلام بوجوده - وبذلك يتبدد الخوف من أن تسدل ستائر النسيان على المجمع وأنشطته.

ومن الوارد كذلك العمل على إصدار تشريعات تلزم باستخدام الألفاظ العربية بدلاً من الأجنبية، وبأن تكون أسماء الشركات والحوانيت والمنتجات عربية، ويقع على مجامع اللغة عبء إعداد مشروعات القوانين اللازمة لذلك ودفعها عبر القنوات الدستورية إلى حيز الوجود، وعلى المجامع الاستفادة من خبرة أعضائها وعلمهم ونفوذهم في هذا المجال.

ثانياً: وجوب نشر الألفاظ العربية التي تضعها مجامع اللغة على أوسع نطاق: في الأذاعة وعلى شاشة التلفزيون وفي الصحف والمجلات - على

أن تكون مصحوبة بما دار بشأنها من بحث ونقاش، فتكون محل نظر الناس عامة ونظر المعنيين المهتمين خاصة فيدلون بأرائهم فيها، وتحقق من وراء ذلك فائدتان:

١- التعريف بهذه المقابلات العربية وتقديمها إلى الجماهير لإقامة نوع من الألفة بها والتعود عليها، مما يسهل في النهاية ذيوها وانتشارها وإزالة ما قد يصاحبها من وحشة.

٢- غربلتها وتنقيحها، وهذا أجدى في تحقيق الغرض المنشود ألا وهو تسهيل وتيسير ذيوها بعدما أصبحت مقبولة وسائخة لدى الناس.

وعندنا في مصر تبلغ ساعات الإرسال من شبكات الإذاعة أكثر من ثلثمائة ساعة في اليوم ومن قنوات التلفزيون أكثر من مائة وخمسين ساعة في اليوم. هذا العدد الهائل من الساعات يلزمه قدر هائل من المواد حتى تجد الطواحين ما تنغذى عليه، وليس بكثير أن تخصص ساعة من هذه الساعات الطوال لعرض جلسات مجمع اللغة العربية واجتماعات لجانه وما يدور حولها من مناقشات وآراء تثرى لغتنا العربية وتقربها إلى قلوب وأذهان أبنائها.

سألنا: العكوف على دراسة الطرق المستخدمة لوضع المقابلات العربية لألفاظ الأجنبية «من اشتقاق ونحت وتعريب.. إلخ» ودراسة نشأة الكلمة الإنجليزية «من خلال معاجمها الكبرى» للمقارنة والإفادة من هذا وذاك في إيجاد مقابلات عربية أكثر سلامة وقابلية للدوران على الألسن.

وقد أورد «المعجم الوسيط» في متنه ألفاظا معربة وهى التى غيرها العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب مثل الإبريق والإسطبل، وألفاظا دخيلة وهى التى دخلت العربية دون تغيير كالأوكسيجين والتليفون، وألفاظا أقرها المجمع ووصفها بأنها ألفاظ مجمعية مثل الأبابة homesickness داء يصيب

الغريب، وهو شدة حنينه إلى وطنه، ومثل أمم nationalise الشركة أو المرفق: جعلهما ملك الدولة، ولغتنا العربية بحاجة ماسة إلى مثل هذه الألفاظ والمصطلحات يقرها المجمع لتقابل ذلك العدد الهائل من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية. فمجمعنا -- في الأغلب، وضع الألفاظ المجمعية عند تصديده لإدخال الألفاظ ومصطلحات أجنبية إلى اللغة العربية.

ولقد صادفت في عملي في مجال الترجمة على امتداد خمسة وثلاثين عاماً، الكثير من الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات الإنجليزية في مجالات السياسة والتشريع والاقتصاد والعلوم وغيرها، وكان على أن أترجمها إلى العربية، ولأنها غير موجودة في المعاجم الإنجليزية/العربية، كان لزاماً على أن أجتهد في إيجاد مقابلات عربية لها وذلك بالرجوع إلى شروحاتها في المعاجم الإنجليزية، واستبطان لفظ عربي يفى بالمعنى، ولقد جمعت عن هذا الطريق حصيلة طيبة من الكلمات والتعبيرات والمصطلحات أورد منها أمثلة: مفتقر إلى السيولة المادية Cashstrapped.

ديموقراطية الأغلبية Consensus democracy.

تدبير، إنفاق المال في وجوهه Cost- effectiveness.

إلغاء اللوائح البيروقراطية deregulation.

تحرير الاقتصاد deregulation of the economy.

المردود الحرام: جزء من قيمة العقد Kickback.

يرده المقابل إلى المسئول في الدولة بالتواطؤ بينهما نظير ترسية المقابلة عليه بطريقة غير مشروعة تحقق للمقابل مكاسب ضخمة.

وأدعو الله أن ييسر لي نشرها، فالنشر - كما تعلمون ليس بالأمر الميسور، وربما كانت صعوبات النشر مما يحوق التعريب.

رابعاً: المراجعة المستفيضة لما وضعناه من مقابلات عربية لألفاظ أجنبية بقصد جعلها أكثر سلاسة وقابلية للتداول والانتشار.

خامساً: تقويم السنة الصغار بالوسيلة الناصعة الباهرة - أعنى إلزامهم بحفظ الأجزاء الخمسة الأخيرة من القرآن الكريم في سنوات التعليم الابتدائى بحيث يحفظون جزءاً كاملاً كل سنة، يبدعون جزء (عم) في السنة الأولى، ثم جزء (تبارك) في السنة الثانية، وجزء (قد سمع) في السنة الثالثة، وجزء (قال فيما حطبتكم) في السنة الرابعة، وجزء (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أو الأحقاف في السنة الخامسة، وبهذا تستقيم الألسنة المعوجة للمعلمين والمذيعين والصحفيين والسياسيين وغيرهم ممن يلوثون الأسماع بنطقهم الشانه لكلمات لختنا الجميلة.

سادساً: تعريب التعليم الجامعى وخصوصاً في كليات الطب والهندسة والعلوم، فالى جانب كون التعريب مسألة قومية تتعلق بأصولنا وكياننا، أثبتت الدراسات أن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة القومية هو أحد عناصر النجاح في زرع العلم والتكنولوجيا في مجتمع ما، وبينما يدرس الصينيون واليابانيون والروس والألمان والفرنسيون .. إلخ في جامعاتهم بلغتهم القومية، نأتى نحن في آخر الزمان ندرس المقررات في كليات التجارة باللغات الأجنبية، بدلا من أن ينصرف جهدنا إلى التركيز على تعريب المقررات في كليات الطب والعلوم ونجد هذا الاتجاه الخاطئ الغافل يزحف من كلية التجارة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية حيث تحولت السفارات الأجنبية في بلادنا إلى مورد للأساتذة الذين يفدون من لندن أو باريس لإفادتتنا عن أفضل الطرق

لتدريس هذه المواد بلغتهم لا بلغتنا، وهكذا أصبحنا غرباء في بلادنا، وعدنا من جديد إلى الغزو الأجنبي لجامعاتنا^(٢١).

سابعاً: الدعوة بلا كلل ولا ملل، إلى نبذ العامية التي انتشرت في وسائل الإعلام، وانتقلت منها إلى العامة والخاصة، وتبنى الفصحى بدلا منها، ولتتظر إلى القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية الذي يحافظ على سلامة العربية وفصاحتها فاستقطب المستمعين المتعلمين وغير المتعلمين على السواء وانقض الجمع من حول أذاعتنا بعدما عجزت عن إتخاذ الفصحى لغة تخاطب بها المستمعين.

ثامناً: العكوف على وضع معاجم عربية: - لغوية ومتخصصة، متباعدة الأحجام والمستويات ومتجددة الطبقات - وذلك لمواكبة التطورات اللاهثة في كل المجالات من حولنا.

وما أخرجنا اليوم إلى صحوة وطنية وغيره قومية على أصولنا، ولغتنا وديننا، فلقد استشرت العامية وطغت العجمة والרטانة وفي غيبة وعى، وفي سياق محموم، راح أبناء العربية يتبارون في إطلاق أسماء بعضها أجنبي وبعضها مسخ شائه عديم المعنى منحوت من كلمات عربية وأخرى أجنبية، على محلاتهم وشركاتهم ومنتجاتهم - وهى في الأغلب منتجات شائهة مثل أسمائها. والمنتجون إنما اختاروا لها أسماء غريبة لا معنى لها للتغطية على سوءاتها وإنعدام جودتها، يدفعهم إلى ذلك جشع وشره إلى المكسب الحرام.

(٢١) مقال للدكتور عبد العظيم أنيس، بعنوان هموم تعليمية مجلة الهلال، فبراير ١٩٩٦م